

بعد التثبت من سلامته لان هذه القشرة المحكمة التي يظنونها درعا واقية
له ليست الا ستاراً شفافاً تدخله السموم من كل ناحية



﴿ فوضى المطبوعات ﴾

اشرنا مرة الى نقص الاداب في هذه الديار من جهة ارتكاب اكثر
كتباها الخطأ في الانشاء الى حد رسم الكلمات ولكتنا عدداً ذلك هيناً محمولاً
اذ لا يطول عهده بسبب ايثار الصحف للنقد في هذه الايام وخروج بعض
المجلات شيئاً عما الفتة من اطراء كل ما يعرض عليها او يهدى اليها دون نقد
ولا بحث ونحن الان نعيد تنبيهنا الى شأن آخر لا يقل عن ذلك وهو
الاشارة الى ان نمو الاداب عندنا انما هو في الحقيقة نمو صناعة الطباعة على
الغالب دون ان يكون الادب الخالص اثر يذكرك بالقياس الى مبلغ المطبوعات
ومقدار انتشارها في البلاد وهو شأن اذا طال افسد الاذواق ومد الباطل
في طغيانه

اما ما تشكو منه الاداب فهو تعرض كل مالم بها اليها حتى اوشك
ابن الكتاب ان يكون مؤلفاً ومعرّباً بل هذا هو الذي حصل وقد عم
الشعور به دون ان يعم التنبيه اليه وذلك مراعاة للمبدأ القديم عند الصحافة
وهو تقرّظ كل ما يعرض عليها والثناء على قائله ونشره . وانه لا ينكر ان
الثناء على المطبوعات كان عادة ظن انه لا فراق لها ولا انفكاك عنها حتى

تنهت الصحائف الى ذلك آخراً فقد رجعت منه الى ذكر المطبوع ومؤلفه
وبيان ثمنه والدلالة على مكانه دون مديح له حين لا يكون مستحقاً للمديح وهو
ما جرينا على شيء منه حتى بدالنا ان نهمل باب « كتب الشهر وجرائده »
اضطراباً لأن أكثر ما كان يرد اليها من المطبوعات بعمومها انما كان يستحق
القوم بدل المديح ولكننا ما لنا بل اغضينا عن ذكرها اصلاً وما مولنا ان
نرى من سائر الصحائف عوناً على ذلك حتى يبلغ بنا التدرج الى التقدير
الصحيح وذكر المعايير لأن ذكر المعايير مقدم على ذكر المحامد من قبيل
ان دفع الشر خير من جلب النفع

اما ما يبدو من الحال المنتشرة الان فهو اقدام كل طالب للادب على
الدخول في لجته في حين هو على ساحله وجعل نفسه مطلوباً منه الادب
في حين قد ابتدأ ان يطلبه وهذا ولا شك صادر عن الدعوى والغرور
الذين ما تعرض لردهما استاذ حين تعرضه لرد الجهالة عن صدر تلميذه
بحيث صار علم الارشاد والتنبية الى المنزلة الانشائية افيد من الادب نفسه
وتلقين العلم ذاته

فلقد نرى تلميذ المدرسة وهو في السنة الاولى من عهده بها يرى
الكاتب البار قد صنف كتاباً او عرب رواية وان الثناء عليه قد بدا من
الجرائد والناس وان ذكره قد اشتهر وسار فيتوهم ان علة ذلك كله كانت
التصنيف والتعريب مجردين فهو لا يكاد يعي شيئاً من اصول لغته او اذاعة
غيره حتى يقدم على التصنيف والتعريب فيخرج كتابه وهو كأنه يسب به
نفسه سباً دون ان يعلم او يعاينه احد بل يكون الامر على العكس غالباً وبذلك
يتماذى في مسبة نفسه واغراء غير بفعله حتى ينشر الجهالة عن طريق العلم ويفرق

في بحرها العلم الصحيح القليل حتى لا يعود يبدو منه شيء او يتجدد خشية
من ذلك الفرق

وانا لو شئنا ان نحصى مقدار ما يصدر كل سنة من المطبوعات التي
تسمى كتباً وتغلف وترسل الى المكاتب وتباع في الاسواق لعدنا منها
المئات ان لم تكن الالوف دون ان نعد منها شيئاً حسناً يذكر . فالتلميذ
يعرب الرواية ويرسلها مصدرة برسمه او مهداة الى غيره وهو لا يدري مما
يعرب شيئاً . وصاحب المطبعة يكلف هذا التلميذ وامثاله ان يزيدوا مما فعلوا
فيربوا له الروايات او يصنفوها وهكذا حتى نهاية تلك السلسلة وآخر تلك
الطبقة فيبدو كل ما كتبوا وطبعوا سقيماً ركيكاً لا طلاوة فيه الا طلاوة
سخف الجديد ان كان لجديد السخف طلاوة ولا فائدة الا فائدة المال ان
صح ان يعد ذا فائدة ما يباع بغرش وغرشين معروضاً ومبتذلاً على القهوات
والاسواق

ثم انه لو كان هؤلاء التلاميذ والداخلون في غمار الادب ممن يقولون
ما يفعلون قصد احتيال على الرزق من بيع ما يصنفون لكانوا على شيء من
العدر ولكن اكثرهم يعرب ويصنف حتى لقد يصدر الصحائف ذات النفقات
لا لشيء الا للتباهي والحيلة على الذكر بالتمجيد فيفسدون اذواقهم واذواق
امثالهم ومن هم دونهم ثم تسوء العقبى على التماذي مع ان لهم مما يحاولونه
مندوحة توجب فخرهم وتسجل فضلهم اذا شأوا وهي طبع الكتب القديمة
على نفقتهم ووضع رسومهم واسمائهم فيها فان منها شيئاً كثيراً لو تعمدوا
البحث عنه لاستفادوا هم انفسهم من مطالعته ولا استفاد غيرهم من نشره وكان
لهم الثناء الذي يحومون عليه مع شيء من الرزق اذا كانوا يحاولونه

وانه لا ينكر ان اقدامهم على التعريب والتصنيف في بدء عهدهم بالعلم
انما هو تمرن عليه وتجربة جدية له ولكن هذا انما يحسن في المدرسة نفسها
بين الاساتذة وبينهم دون ان يخرجوا شيئاً مما تمرنوا عليه من ابواب
المدارس فان ذلك يعد تمرناً حقيقياً يفضي الى كمال علمهم وصوناً للاداب ان
تبتذل الى هذا الحد. واننا نعلم ان مقالاً واحداً كهذا لا يؤدي الى كل ما
تريده حقيقة الادب ولكننا نأمل من الصحائف عامة والمجلات خاصة ان
تغادر ما بقي من عاداتها القديمة بالتدريج الذي بدا منها فتعرض لهؤلاء المعربين
والمصنفين باللوم حتى التقريع اذا وجب وبذلك يعرفون مقادير نفوسهم من
الفهم ومبالغ ما كتبوا من الصحة . بل انه لو لم تكن الاداب عندنا فوضى
لكان لهؤلاء المفرورين رادع ممن هم فوقهم من اولي الاداب الصحيحة فلا
يقبلون ان يكون بينهم من ليس منهم كما يفعل الاطباء والمحامون وامثالهم
فان الذي يرتكب منهم نقصاً في صناعته يعيبها يرفض منهم رفضاً حتى لا
يقبل عليه احد ولكن هذا بعيد الان فليكن ما التمسناه

ثم اننا في هذا المقام ننبه جرائدنا الاخبارية اليومية بالخصوص الى شأن
يمس آدابهم ويشوه محاسن صحافتهم حتى لا يفرقهم عن اولئك المفسدين
الذين ذكرناهم وهو نشرهم للاعلانات والرسائل المأجورة بحروفها في حين
تكون على غاية الركاكزة بل تكون غير عربية الا بصورة الحروف فقط كما
يبدو ذلك من اعلانات فقد الخواتيم (الاختام) فان اكثرها يرد هكذا
(ختمي فقد مني ولم علي به ديون) ثم يتلو ذلك ما يشاء من متعوى السخافة
والركاكزة الى حد المعجزة وعدم فهم شيء مما هو مكتوب وهذا ولا شك

عيب يالحق بالصحيفة وحدها دون ناشر الاعلان لان هذا جاهل بسيط
واما الصحيفة فتعد بذلك جاهلة مركبة

وقد كان من حقها ان تصلح الاعلان حتى يفهم المقصود منه على الاقل
ان لم يرد بذلك تلاؤم المحاسن في الصحيفة كلها. ولقد يعتذر ارباب الصحف
بان الناشرين لا يريدون ان ينشر لهم الا الذي كتبوه بايديهم واملته افهامهم
ولكن هذا ليس بصحيح بل الصحيح هو كسلهم واعتذارهم بهذه الدعوى
غير المقبولة

ثم انه من العجيب ان يعترف ارباب الصحف بانهم مسؤولون عن كل
ما ينشر في صحفهم ولو كان بتوقيع سواهم لان الناشر شريك القائل ثم ينسون
انفسهم في مثل تلك الحال فلا يعتبرون انفسهم شركاء في تلك الركاكة
والسخافة مع ان الحاليين واحدة ولا فرق بينهما الا ان تلك شرعية وهذه
ادبية وتلك عقابها غرامة من مال وهذه عقابها غرامة من عار ولقد يكون
المال اقضت عليهم وقعا لو يتأملون

